

عَبَقُ التَّرَاثِ المَعْمَارِيِّ الإِسْلَامِيِّ إِضَاءَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنَ التَّارِيخِ الْجَمَالِيِّ فِي الإِسْلَامِ

د. نَاجِي جَعْفَرِ مَرَعِي الكَثِيرِي *

E-mail: nagija@hotmail.com

*قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا - اليمن

عَبَقُ التُّرَاثِ المَعْمَارِيِّ الإِسْلَامِيِّ إِضَاءَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ التَّارِيخِ الجَمَالِيِّ فِي الإِسْلَامِ

د. ناجي جعفر مرعي الكثيري

الملخص:

احتفظ التراث المعماري الإسلامي بكيونوته المتميزة وبتجدد معالنه وبنسجه الحضاري الروحي والوظيفي والجمالي، وبوحدة خصائصه أو تباينها، وبتناج حضارياً ذا قيمة، مقترناً في تطوره بتطور صلته بأنماط التمدن Process of Urbanization، ومرتبطة بالثقافات العريقة التي عرفته فناً من التناسق والاتساق والزخرفة والأبهة. فالدراسة بصدد هذه القيمة الحضارية الجمالية وصلتها بالتمدن العربي والإسلامي.

ويمثل تحسين العمارة التراثية بالزخرف، أبرز العناصر الجمالية الإبداعية المبتكرة في التراث المعماري الإسلامي، ومن أبرز المكونات الجمالية في الطراز المعماري الإسلامي. وتتفرد بيوت الرحمن من المساجد والجوامع، لتجسد المستوى المتميز لفن التزييق المعماري الزخرفي الجمالي في الإسلام، وللدراسة إطلالة على هذا النموذج التراثي المتجدد المجيد.

ترد الدراسة كذلك استطراداً للحفاظ على التراث المعماري وصلته بالحدثة، بعد أن اقتضى الأمر النظر مجدداً إلى مفهوم الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي، ولستجدات العصرية بشأن تجديد عناصره الإنشائية والجمالية.

وتخلص الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات والمقترحات، ربما تسهم في توجيه ذوي العلاقة من جامعات ومؤسسات ومراكز علمية ومعاهد متخصصة وهيئات ثقافية وسياحية وفنية، للعمل على إحياء جانب من التراث الجمالي في الإسلام برؤية حديثة وديناميكية معاصرة.

مصطلحات أساسية: التراث المعماري الإسلامي، التاريخ الجمالي.

The Fragrant Islamic Architectural Heritage A Spotlight on the Aesthetic History of Islam

Dr. Naji Jaffer Alkathiri

Abstract:

The Islamic architectural heritage retained its unique characteristic, its renewal spiritual and cultural function, and the unity or the contrast of its characteristics. The result is a cultural value associated with the evolution of development in relation to the process of urbanization and associated with the ancient cultures. It is known as an art of harmony, consistency and decoration. This paper focuses on this civilized value and its connection with the Islamic and Arabic urbanization.

The improvement of traditional architecture through decoration shows the creative aesthetic elements in the Islamic architectural heritage. It is a remarkable component and the most prominent in the Islamic architectural style. Mosques have these unique features which reflect the level of outstanding architectural beauty of decorative art in Islam. This study states this renewed glorious heritage model.

The study also digresses for maintaining the architectural heritage and modernity due to the necessary re-consideration of preserving the architectural heritage of Islam and the developments and renewal of its structural and aesthetic elements.

The paper concludes by suggesting a number of recommendations and proposals that may help to guide the stakeholders of universities and institutions, scientific centers and specialized institutes, cultural, tourist and technical bodies work to revive the heritage of the aesthetic in Islam by adapting modern dynamic contemporary ways to make it more spacious and brighter.

Keywords: Islamic Architectural Heritage, Aesthetic History.

المقدمة:

هذه الدراسة بصدد توثيق جانب من التاريخ الجمالي في الإسلام، على درجة عظيمة من التألق والجمال، فقد أسهم الفن المعماري في رُفد دواعي التمدن، وأسهم بعبء وافر في مضمار الابتكار، ودفع بعجلة الإبداع الحريفي بالمجتمع الإسلامي نحو مزيد من التطور، فازدادت الفنون الحرفية بمعية الفن المعماري الزخريفي بهاءً وتفناً. كما جمع بين دفتيه معارف جمة في مجال الكتابة والنقوش والحفر والنحت والتصوير والرسم والألوان، واكتسب من التجارب والمهارات الكثير، فاستقام له جمال المكان وسحر البيان.

نتوخى الفائدة العلمية القصوى من الموضوع المراد بحثه عن جماليات التراث المعماري الإسلامي، لمايمثله من رقي وتميز فنياً وثقافياً، ولصلته الديناميكية بالتمدن، وكيف أضحي نوراً أضاء درب الإبداع والتفرد، بالتزويق والتنميق والتلوين وكتابة الآيات القرآنية، وبلغ في هذا مبلغاً عظيماً عندما أجاد المسلمون تحسين الأثر المعماري باستعمال الزخرفة، مطلباً بالفضة والذهب والصدف والنحاس والزجاج والرخام، لم يجد بمتله الزمان من قبل، فلاغربة أن يشد العزم لدى جهات العلاقة في زماننا هذا لبذل الغالي والنفيس من أجل الحفاظ على خصائصها التراثية، بإعادة تأهيلها وظيفياً وجمالياً، بعيداً قدر الإمكان عن تكنولوجيا العمارة المعاصرة.

اعتمد الباحث المنهج التاريخي مسلماً علمياً في منهجه القائم على تقصى المادة العلمية وفحصها، واتبع الأسلوب الوصفي التحليلي كلما اقتضى السياق ذلك، ومعللاً أحياناً بحسب دقة المعلومات وموضوعية المعنى والدلالة، مستفيداً من التنوع الجيد للمصادر والمراجع والدوريات العلمية المتخصصة.

العمران والتمدن:

في الدراسات النقدية المقارنة عن المدينة العربية الإسلامية ولا سيما في الدراسات الأجنبية، نطالع اهتماماً بالعمارة التراثية (الأبنية التراثية) من حيث تحليل تصاميمها الداخلية وإظهار سماتها

اهتم العالم الإسلامي مبكراً بآثار الأقبام السابقة، واستفاد من التراث في إنتاج عمارة إسلامية بمرجعية العمارة الأثرية القديمة، تجلى هذا ناصعاً في معظم حضارة البلاد التي حكمها الإسلام، ومع تطور الفكر والفنون الإسلامية عامة، احتفظت العمارة بثوابتها المستمدة من وحي مرجعيتها، مرجعية تعاليم الإسلام في العمران وعلاقات الجوار وكتابة الآيات القرآنية، ونتيجة لذلك أنشئت عمارة إسلامية ذات خصائص عامة متبلورة، وذات خصائص خاصة بتأثير تقاليد المجتمعات المحلية العمرانية وثقافتها، وتأثير معطيات البيئة المحلية. وقد أظهر هذا جملة من المتغيرات المعمارية المحلية، وأوجد المدارس المختلفة للعمارة الإسلامية، فأعطت صدىً عالمياً وتقديراً وإعجاباً، وغدت انعكاساً منيراً لثقافة هذه المجتمعات الإسلامية وتطورها.

لم يكن النشاط العمراني وليد الاحتياجات الفائضة عبر الزمنين البعيد والقريب، وإنما احتياجاً ورافداً مهماً للتراث الحضاري الإنساني العظيم، وتلبيةً لمتطلباته الحياتية الروحية والمادية، بل يمثل العمران الجانب المشرق من هذا التراث، مجسداً مستوى حضارة المجتمعات، فمن كان عمرانه في الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ كما يقول ابن خلدون، وقد جعل ثراء المدينة في كثرة مبانيها. وحضارتنا العربية تنعم بزخم عظيم فاخر من التراث المعماري الإسلامي، والشواهد كثيرة ومضيئة تترجم في علاقتها بالتراث الحضاري الإسلامي العام مجدداً لا يضاهاى.

إن إحياء التراث المعماري وما يمليه من واجبات لضمان صيرورته المتجددة ولحفظ مكنوناته الزاهية وخصائصه الإنشائية العامة والخاصة، إنما من المسؤوليات الجديرة بالاهتمام الواعي الفاعل، ليس لكونه معلماً متقناً أخذاً من الماضي التليد بما فيه من تفرد وجمال مُنجز، ولكن لكونه في موضع التحدي فيما ينبغي عمله لمواكبة العصرنة المعمارية ومقتضياتها التزويقية الراهنة.

الحضري لمدنه⁽⁷⁾، وقد عرف عن المدينة العربية بأنها «مدينة حضارية مركزية وكبريائية تعزّز بخصائصها المعمارية وبما تصنع ولاتعاني نقصاً يحجبها عن الإبداع والخلق»⁽⁸⁾، لهذا اتخذت أساتذة العمارة الحديثة من المدينة بما فيها من مبانٍ معمارية تقليدية، مصدراً لحلّول معمارية وتقنيّة وفتية فعالة ومتجددة⁽⁹⁾.

ثبت أن كثيراً من الأحياء والمدن التراثية في البلاد العربية والإسلامية، نجحت في تقديم حلول معمارية وتخطيطية في مجال الحفاظ على المباني الأثرية، واعتمدت في هذا على التفاعل الناجع بين العوامل البيئية والمناخية وبين المفاهيم الاجتماعية والدينية⁽¹⁰⁾، وربما لارتباط تطورها المعماري بتنامي اتساع العالم الإسلامي وتنوع الأقاليم، لهذا تدرج عروبة الحضارة الإسلامية وعالميتها من بين أهم الخصائص العامة للفن الإسلامي⁽¹¹⁾.

إن الحواضر الأكثر ثراءً وتحضراً تلك التي عرفت التنوع في مظاهر الثقافة وفي فنون العمارة⁽¹²⁾، وقد حفظ هذا التنوع استمرار التغييرات النمطية في التراث المعماري العربي والإسلامي، وماترتب عليه من تأثير على مزاياه البنائية والفنية⁽¹³⁾.

طمس الإسلام الفروق المكانية بين القبائل العربية، وصار العمران وظاهرة بناء المدن أبرز ما تستجبه موجبات استقرار المسلمين في الأمصار، وكان بتأثير هذا أن تطورت عمارة المساجد والمدارس والكتاتيب والخانقاوات والأضرحة والقصور والبيوت⁽¹⁴⁾، والأسواق والوكالات والحمامات والبيمارستانات والأسبلة والقناطر والحداثق والقلاع والحصون والأبراج والأسواق وأبواب المدن والأربطة⁽¹⁵⁾.

واعتمد إنشاء كثير من المدن الإسلامية على التخطيط المعماري الإسلامي المألوف من حيث الموقع والتنظيم والبناء والتحسين، ثم مضت تجمع بين الطرز المعمارية الشرقية وطرز البناء العربية والرومانية، فكان النتاج خليطاً منمقا من الفنون

وخصائصها وإبراز دورها الحضاري المشهود في إطار الإرث الحضاري العربي الإسلامي، وفي سياق تطور مراحلها التاريخية، و نجد في صلة العمارة التراثية شكلاً ومضموناً بتأسيس المدن العربية الإسلامية سبباً في صياغة كثير من دراسات التمدن العربي التحضر⁽¹⁾ (Urbanization).

تصف هذه الدراسات علاقة خصائص المدن بالعمارة، فيما إذا كانت مدينة دينية في نشأتها، أم أنها مدينة تجارية أم أنها مدينة لا تجمعها وحدة من الخصائص المعروفة، وللحموي في معجم البلدان وصف إسلامي للمدينة، وذكر عن أهمية دراسة تواريخ المدن وحدة أساسية ونموذجاً للحضارة العربية الإسلامية الفاعلة⁽²⁾.

وعلم الاجتماع التمدني من بين العلوم المهمة بدراسة المدن والتمدن وبدراسات التمدن الإداري والسياسي والاجتماعي والعمراني، وأسادتتها يسمون بأساتذة التمدن Urbanists في الجامعات الأوروبية، بينما عرف هذا المجال في الجامعات الأمريكية بالحقل Urbanization الذي يجمع بين الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية⁽³⁾.

ولأن المدينة وليدة الحضارة⁽⁴⁾، حرص ذوي الاختصاص على دراسة التكوين التاريخي للتمدن ومعرفة وظائف المدينة الأصلية عبر مراحل تطورها الحضاري، وعلى فهم وضع المدينة المعاصرة وتحسس وظيفتها ودورها⁽⁵⁾، وأن لهذا صلة بمكانة العمارة التراثية عند تقييم مستوى التمدن بالمدينة الحضارية، إذ لايتأتى رصد هذا التمدن بمعزل عن تأثير العمارة التراثية، وتتبع خصائصها ودلالاتها في سياق حركة التطور الحضاري العام للمجتمعات⁽⁶⁾.

فالصلة قديمة قدم الإنجازات الحضارية، إذ يستعصي تتبع تاريخ الخصائص الخاصة للعمارة التراثية خارج إطار التكوين التاريخي للتمدن، فالصلة كما تبدو صلة محاكاة مستمرة عبر القرون بين الأشكال المعمارية في أي بلد وبين النسيج

الخشب المصقول والزجاج وبالسجاد المطرز. أضفى كل هذا جمالاً معمارياً وزخرفياً للتراث الديني، وصارت المساجد من أوسع الفنون المعمارية انتشاراً وإتقاناً في القرن الرابع الهجري، لدرجة أنها بلغت في بغداد ثلاثين ألفاً⁽¹⁹⁾، وفي الفسطاط ستة وثلاثين ألفاً⁽²⁰⁾، وفي الإسكندرية في أواخر القرن السادس الهجري اثني عشر ألف مسجد أو ثمانية آلاف⁽²¹⁾، وأن مساجد قرطبة بلغت ألفاً وستمئة مسجد⁽²²⁾، إن في كثرتها ما يدل على تعدد وظيفتها، فهي للعبادة ومركز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، ومحل القضاء والإفتاء والعلم والإعلان⁽²³⁾.

صار المسجد في النسيج المعماري الإسلامي مكاناً مؤنسناً في محيط البيوت والدروب، ولم يكن جزءاً تكوينياً عادياً ذا وظيفية محدودة ومختزلة، بل كانت له وظائفه الشاسعة المنتشرة إلى كل أنحاء النسيج المدني، ويعد مثلاً لأبرز عناصر العمارة الإسلامية، متطور البنين والوظيفة، مكوناً تراثاً فنياً جديراً بالعبادة، ومدخلاً حضارياً لفهم تراث المدن المعماري، وأبقى قياساً بغيره من أوجه التراث المعماري، إذ توالفت تحسيناته الإنشائية طيلة أربعة عشر قرناً ونيفاً، فالمسجد قنديل منير جمع عبر العصور بين نور العبادة البهي وبهجة فن العمارة الإسلامية، فهو نور على نور.

تصدر المسجد قائمة السجل الحضاري العمراني بالمجتمعات الإسلامية، فلم يكن أية من التزيق والتنميق والزخرفة والألوان فحسب، بل لوحة فسيفساء فنية، لا يضاهاها رفعةً وجمالاً، وهي أكثر تعبيراً على ما وصل إليه فن الصنعة في الإسلام من رقي وتجديد، خاصة في العصرين الأموي والعباسي، وماتلى من تطور إنشائي متميز لعناصرها الجمالية في العصر العثماني، ثم سريانه عبر قوالب هندسية أكثر حداثة في التاريخ الحديث والمعاصر.

وتمثل الكعبة المقام الأسمى الشريف، أول المنشآت المعمارية الدينية التي شارك النبي -صلى الله عليه وسلم- في عمارته قبل بعثته، وإنه نقل

المعمارية، تجلّى فيه تأثير الحضارات الأخرى، ومحتفظاً في ذات الوقت بأصوله المحلية وبوحدة تخطيطه العمراني والجمالي العام⁽¹⁶⁾، محققاً المكانة الرفيعة لفن العمارة الإسلامية التي غدت من أهم الفنون الإبداعية التي نبغ فيها المسلمون ليمتقوا⁽¹⁷⁾.

ظلّ الدين الإسلامي كالعامل الذي حور في مجموعة أساليب البناء المختلفة بالمدن، وربط فيما بينها، مخرجاً أسلوباً ذا نمط واحد متميز⁽¹⁸⁾، وبهذا نطالع سر استمرار حركة التحول المطرد في مجال العمارة التراثية الإسلامية، من اهتمام بالبناء لأغراض العبادة، إلى الجمع بين الدين وحسن التشييد ورونقه في التصاميم الهندسية، فظهر متجانساً إنشائياً وجمالياً.

لقد أصبح نضوج العمارة الإسلامية وفي الصدارة عمارة المدن بخصوصياتها الجمالية، من بين أهم الأسباب في تأثير العمارة الإسلامية على صقل ملامح فن العمارة العالمية وبلورتها، مما أدى إلى تقرد التراث العربي الإسلامي في مجال الهندسة المعمارية، وفي صلتها بالمدنية.

ومضى ذلك التأثير باطراد ويايقاع مسموع منذ حركة الفتوح الإسلامية، انتقل من بعده تراث الإسلام في العمارة إلى تطوير الفنون التطبيقية المعمارية الإسلامية، فظهر التنميق والتزيق والزخرفة، نمطاً متفرداً أخذاً، وكان من أبرز تجلياته عمارة المساجد.

عمارة بيوت الرحمن:

للمساجد قدرة فائقة على احتضان بذور التجديد وعلى استيعاب ملامح الاختلاف المعماري الوافد إليها، وهذا جعلها أكثر تأهيلاً للتنوع والتبلور، ففي جنباتها تعدد غني للطرز المعمارية من أموية وعباسية وسلجوقية ومغولية وصفوية وفاطمية ومملوكية وأندلسية وهندية مغولية وتركية عثمانية، بالإضافة إلى صلتها بالجماليات المعدنية كالأباريق والثريات والشمعدانات والمساند، وبالزخرف من

وحظي المسجد دون غيره من الفنون بصلته الجوهريّة بالعقيدة، ممّا جعلها أكثر المنجزات المعماريّة حضوراً وبهجةً، وأكثرها تواصلاً والتصاقاً بالنشاط الديني والاجتماعي والثقافي والفكري. وقد هيا لها هذا مكانة مرموقة بين المجالات المعماريّة الإسلاميّة ذات الخصائص الجماليّة المتعددة الجوانب، وجعلها في صدارة ما ينبغي بناؤه بالمدن، وارتبط أمرها بالضرورة بنشوء المدينة الإسلاميّة.

فالمسجد من أكثر المنشآت المعماريّة اتصلاً بالأساليب الفنيّة المعماريّة المختلفة، فلم تكن القصور والمقابر والكنائس تضاهي المساجد رونقاً وزخرفاً، ولم تكن بحال العمارة المدنيّة أطول عمراً من عمارة المساجد في الإسلام، في حين تمثل عمارة المساجد والجوامع في تاريخ الفن الإسلامي إنجازاً أصيلاً ومتبلوراً، تطور سريعاً برعاية الخلافة الرشيدة منذ عهد الخلفاء الراشدين وبتأثير ازدهار الحضارة الإسلاميّة لاحقاً.

كان أول نموذج معماري للعبادة في الإسلام ذلك الصحن من دار الرسول -صلى الله عليه وسلم- عقب وصول الرسول الكريم إلى المدينة المنورة دار هجرته، ويعرف بالحوش (حوش المسجد)⁽²⁸⁾، تحيطه جدران من الحجر إلا الجزء الذي يؤم فيه الرسول الكريم المصلين في اتجاه الركن الشمالي صوب بيت المقدس، تظله ظلة يجتمع فيها الرسول الكريم والصحابة والمهاجرون والأنصار ويؤذن فيها للصلاة، ثم أضيفت للمسجد ظلة أكبر بطول الجدار الجنوبي من الصحن، أي جهة مكة المكرمة بعد أن أمر الله جل جلاله التوجه نحو الكعبة الشريفة في الصلاة، وأصبحت القبلة الظلة الرئيسيّة للمسجد، ثم لحق بالمسجد ظلات أخرى تحيط بالصحن واتسع الفناء، واستثنى مكان الرسول الكريم في الصلاة بسقف صنع من جريد النخل المغطى بطبقة من الطين على دعائم من جذوع النخل.

يعدّ مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أول موضع اختط في وسط المدينة، ومن حوله اختطت

الحجارة مع غيره من أشرف قريش ورجالها عندما جرى على بنائها بعض الترميمات، فقد أولى أهل مكة اهتماماً بترميم الكعبة قبل الإسلام، حيث زين سقفها بخشب الدوم الجيد وجريد النخل برعاية قصي ابن كلاب بن مرة⁽²⁴⁾، وكان معنياً بولاية الكعبة وإليه الحجابة والسقاية والرفادة، وقد حرص أشرف مكة بأن لا يدخل في بناء الكعبة إلا طيب⁽²⁵⁾.

ثم توالى عمارة الكعبة الشريفة مراراً حفاظاً على بنائها المكعب وأعمدتها المرتفعة، وهذه أول محاولات الحفاظ على هيئة البناء وكيفية صيانة خصائصه الوظيفية بدافع ديني قبل ظهور الإسلام، وإن بدت بدائية الوسيلة والأداة، فالمعلم ذو قدسية لدى العرب، فهو البيت العتيق الذي شيد بإيعاز من الخالق سبحانه لسيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، بوضع قواعد ليكون مسجداً ومصلى للناس، يعكفون ويأمنون فيه ويطوفون حوله.

ثم في ظل الإسلام ومكانة الكعبة الدينية حمل فن العمارة تعبيراً معمارياً جديداً، إذ ربط بين المسجد أينما وجد والكعبة في مكة المكرمة، وتزواج بذلك التعبير المعماري الأول الذي أحسه ساكن البداية من صلته بالسماء من خلال صحن داره المكشوف، مع التعبير المعماري الجديد المستوحى من صلة العابد بالأرض⁽²⁶⁾، فكانت هذه البداية نحو صلة حميمة جمعت بعد ظهور الإسلام فن العمارة العربية والإسلامية بروحانية المكان، وبما يمليه هذا من تشييد وتحسين وتجميل للمبنى، حرصاً على رونقه واكتمال عناصره الوظيفية والجمالية.

لقد اشترط أداء شعائر العبادة بوجود بناء ذي مواصفات معمارية خاصة، وهذا جعل المسجد مهد كل الفنون الإسلاميّة وأقدم الطرز المعماريّة في التاريخ الحضاري الإسلامي، وأول ما يختط بالمدينة الإسلاميّة ثم تختط من حوله خطط المدينة المعماريّة⁽²⁷⁾، فهو الرمز المعماري الأهم المرتبط وظيفياً بدور المدينة في حياة المسلمين الخاصة والعامة.

على قائمة الفنون الأخرى، تبوأ الصدارة منها النموذج الأول في صدر الإسلام، تليه النماذج الزاخرة بالزخارف الهندسية والبنائية والكتابية بالعصر الأموي (41-132هـ)، ومن شواهد الجامع الأموي بدمشق وجامع عقبة بالقيروان وجامع الزيتونة في تونس، ثم في العصر العباسي (132 - 447هـ) إذ شيد مسجد السامراء بشمال بغداد وجامع ابن طولون في مصر.

ومن النماذج النموذج المعماري المتفرد بالعصر الأموي في الأندلس (138 - 422هـ)، ويعد جامع مدينة قرطبة الكبير (170هـ) أبرز البصمات المعمارية الجمالية الإسلامية في عصره وما زال تحفة فنية زاهية. يليه النموذج الفاطمي في مصر منذ القرن الرابع الهجري (358 - 567هـ)، تمثل في الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله.

وكذلك من شواهد العمارة الدينية الإسلامية النموذج السلجوقي (447 - 553هـ) في إيران والعراق وآسيا الصغرى، كمسجد الجمعة بمدينة أصفهان ومسجد الجمعة في قزوين، كما شيد سلاجقة تركيا مساجدهم وفق طراز مغاير، ببناء بهو للصلاة متعدد الأروقة من دون الصحن، كجامع علاء الدين في مدينة قونية، بينما شيد الأتابكة السلاجقة في سوريا (آل زنكي) جامع مدرسة ركن الدين بدمشق (621هـ) وجامع حلب⁽³²⁾، وشيدوا المدارس الدينية في معظم حواضر الشام⁽³³⁾.

أما النموذج الأيوبي فظهر مختلفاً في تصميمه الهندسي، وهذا ربما ما يميز المساجد في العصر الأيوبي (567 - 648هـ)، فقد عمد الأيوبيون إلى إنشاء المدارس التي تشبه في تصميمها تصميم المساجد، إلا أنهم بالمقابل شيدوا المساجد ومن أهمها المسجد الكبير الملحق بقلعة صلاح الدين بالقاهرة.

وظهر النموذج المغولي في إيران (615 - 735هـ) مزركشاً بزينة الزخارف وفخماً بمدخله ومآذنه، كالجامع الأزرق بتبريز وجامع تبريز، بينما تألق بناء المساجد من بين الفنون المعمارية المغربية الأسبانية

منازل المهاجرين في مواضع تنازل عنها الأنصار، كما شمل البناء مواضع ليست لأحد أقطعتها الرسول لأصحابه، ومن المآثر الخالدة اشتراك الرسول -صلى الله عليه وسلم- بنفسه في بناء مسجده وتأسيس الصحابة به وسائر المسلمين في المدينة، وهكذا وضع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أساس فن العمارة الإسلامية⁽²⁹⁾.

بذلك أرسى أول نموذج للعمارة الدينية في الإسلام رغم بساطة الإنشاء، ولاحت به أول بشائر العمارة العربية الإسلامية لإصالة لها بأية معابد سابقة، لها ما يميزها وظيفياً وذات صفة معمارية، وعلى غرار هذا النموذج كانت عمارة مساجد الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان، ثم واسط وبغداد وفاس، وبهذه الصفة ندحض قول عدد من المستشرقين ممن وصف عمارة أول المساجد في الإسلام بأنها ليست عملاً معمارياً⁽³⁰⁾.

صمم المسجد في الإسلام ومنذ نشأته من الحجر المنضود بعضه على بعض ومن الطين ومن جذوع النخل صفت على أبعاد متساوية، وقد شهد في مراحل الأولى إضافات إنشائية ذات صلة بفن العمارة، بداية بتوسعة المسجد النبوي بعد سبع سنوات من الهجرة (628م) بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، بإعادة بناء مسجده وتزيينه بعد عشرين سنة من وفاته، وإقامة جدران وأساطين من الحجر المنحوت، أليس هذا عملاً معمارياً خالصاً حفظ للمسجد ملامحه الدينية والفنية، وصار تصميمه المعماري نموذجاً للمساجد في المدن الإسلامية.

وشهدت المجتمعات الإسلامية منذ نهاية القرن السابع تطوراً جامعاً في مجال العمارة الدينية، حينما استقر الأمر للإدارة الإسلامية في الأمصار بعد حركة الفتوح، وجلب الصناع المهرة والمهندسين والفنانين لصنع الزخارف والنقوش الفنية المعمارية بالمساجد والدور، مما مهد لتبلور الطراز المعماري الإسلامي الأول في منتصف القرن الثامن بعناية الخلافة الأموية⁽³¹⁾.

لقد ترعّب فن عمارة المساجد في المجتمع الإسلامي

يد المماليك كمسجد ابن طولون بالقاهرة، لاسيما إعادة تشييد مئذنتها الملوّية، في حين استغرق مسجد الجمعة في أصفهان بناءً وتجديداً حتى اكتمل على صورته الحالية ثمانية قرون، بدأها التيموريون في القرن العاشر ثم تعاقب على استكمالها السلاجقة والإيلخانات وبنو مظفر والصفويون، والشاهد في الإنجاز رغم طول الزمن واختلاف الحكام، الحرص النافذ على الطابع الأصلي للأصيل للنموذج الإسلامي عمارةً وزخرفاً⁽³⁶⁾.

لعمارة المساجد الأثر العظيم على حاضر التراث الحضاري الإسلامي، فقد اختط سجلاً موثقاً بديعاً عن فنون العمارة في الإسلام، مواكباً لحركة الإبداع المعماري العالمي، خاصة أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى مزيد من المثابرة لتعظيم عمارة المساجد والجوامع، كونها مراكز للإشعاع الديني والثقافي والاجتماعي ومنارة علم.

وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى جهود الأربطة الإسلامية والمؤتمرات العربية والإسلامية خلال القرن الماضي، وأعني منها بالذكر مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد لأول مرة بمكة المكرمة في المدة من 15 إلى 20/9/1395 هـ الموافق 25/9/1975 م.

كان مؤتمر رسالة المسجد إيذاناً لمؤتمرات لاحقة تمخضت عنها أعمال جليلة وإنجازات فعلية، من أهمها إقامة المراكز الإسلامية في بلدان غير إسلامية لتكون كمساجد، صممت معمارياً على النمط المعماري الإسلامي المزخرف وبالقبية والمئذنة، وقد جرى تدشين أول مسجد بمبنى الأمم المتحدة في نيويورك تلبية لتوصية المؤتمر العالمي الأول الذي افتتح بالمدينة المنورة في 24/2/1397 هـ الموافق 12/2/1977 م. وتوالى بناء المساجد في عدد من العواصم الأوروبية وفي كندا والأمريكتين وأستراليا وفي عدد كبير من العواصم والمدن الآسيوية والأفريقية خلال ماتبقى من القرن المنصرم ومع مطلع الألفية الثالثة، حتى اقترن الأمر بالواجبات العظمى لدى بعض الدول الإسلامية، منها في الصدارة دولة المملكة العربية السعودية.

السائدة منذ القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع (425هـ-897هـ) في بلاد المغرب والأندلس، ومن أشهر هذه المساجد جامعاً تلمسان والكتيبة في مراكش، وفي الأندلس مسجد طليطلة والمسجد الجامع في أشبيلية.

ولم يكن نموذج العصر المملوكي في مصر (648 - 923هـ) أقل روعة، فقد جمعت بين العناصر المعمارية التقليدية والعناصر الوافدة، ومن هذه المساجد الدالة على ذلك المزيج الفني المتزن، مسجد الظاهر ببيرس ومسجد قاتيباي وجامع السلطان حسن في القاهرة، ولا ينبغي أن نغفل نموذج العصر الصفوي بإيران (907-1135هـ)، الذي امتاز بتكامله الفني المعماري من الناحية الزخرفية والألوان، تجسّد معلماً معمارياً بمسجد الشاه عباس ومسجد الشيخ لطف الله في أصفهان⁽³⁴⁾.

ويظل نموذج العصر العثماني (680-1134هـ) فناً معمارياً هجيناً أخذاً، إذ مزج بين الطراز السلجوقي والطراز العثماني الجديد الذي ظهر بعد فتح القسطنطينية، وبعد ذلك تأثر بالطراز البيزنطي، وأشهر مساجده جامع آيا صوفيا باسطنبول ومسجد السلطان بايزيد الثاني وجامع السلطان أحمد وجامع السليمانية باسطنبول وجامع السليمانية بأدرنة وجامع محمد علي وجامع السنانية ببولاق في القاهرة.

وامتداداً لتأثير الحضارة الإسلامية بالشرق، تفنن الهنود في عمارة المساجد بالمدن منذ نهاية القرن السادس الهجري، حينما شيد قطب الدين أيبك عام 590هـ مسجد قوة الإسلام، ثم توالى عمارة المساجد على يد المسلمين (933-1274هـ) على نمط العمارة الهندي، ومن أشهرها مسجد جامع مدينة جاوونبور ومسجد اللؤلؤة الملحق بقاعة شاه جاهان بمدينة آجرا⁽³⁵⁾

المسجد وجد ليبقى معموراً متجدداً محاطاً بعناية المسلمين حكماً ومحكومين عبر العصور، ولنا في هذا المجد المعماري أمثلة لمساجد تجاوزت فترة إنشائها وترميمها وتجديدها مائتي عام، كمسجد الجامع بقرطبة، وأربعمئة عام من التجديد كان آخرها على

التزييق المعماري الزخرفي:

المسلمون أكثر ولعا بجمال الصنعة في العمارة ولمساتها الفنية، فقد تتلمذ الصناع منهم على أيدي الفنيين المهرة، وتوخى هؤلاء جانب الإتقان والإبداع وكيفية التعامل مع الطرز والمدارس الفنية، ولأن الفن المعماري أحد أكثر الفنون الزاخرة بالعناصر الفنية المستوحاة من تلك المدارس، فقد حظي الفن الزخرفي برعاية محمودة، وشكل بتطور ملامحه الجمالية من الترميق والتزييق والتلوين أسمى خصائصه الفنية الرائعة، وبات الفن الزخرفي من أكثر المجالات زخماً بتبادلها للعناصر الفنية، ويسر تأثيرها بهذه العناصر التي تجمع في الغالب بين الأصالة وما يميله الزمن المعاصر من جماليات معمارية وافدة⁽³⁷⁾.

وكان للمزيج الحضاري في ظل الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية بصماته في ذلك، في إطار ما ترتب عن فتوح المسلمين للبلدان القريبة والقاصية من تغيير وتطوير في فن العمارة الإسلامية، وأنها البداية التي شكلت عناصر تطور الطراز المعماري الإسلامي، وانطلاقها الأول كان من بلاد الشام ومصر والعراق وبلاد فارس⁽³⁸⁾، وتتصدر الفنون الزخرفية أجمل نتاجها الفني، الذي تزامن ظهورها الفعلي بحلول عصر بني أمية (41-132هـ).

واستمد الفنان المهندس المسلم من رسومات الطبيعة سبيله للإبداع، فكانت الأشجار والنباتات والأزهار مصدر إلهامه لإنجاز أروع تكويناته وتشكيلاته التجريدية الجمالية والزخرفية، من تشجيرية وتوريقية وتزهيرية، وكذلك الأشكال الهندسية والخط العربي. وأبدع بحسه الجمالي الخلاق في إنشاء منظومة متكاملة من الدلالات الفنية، فيما عرف عنها بمدرسة الرقش العربي أو الفن العربي الزخرفي، فن يقوم على تطويع التنوع الجمالي الزخرفي لتتلاءم مع أبجديات الجمال وتدفعاته التعبيرية، وعلى أساس من التوازن التام للمساحة والخط واللون وترابطها وانسجامها⁽³⁹⁾.

وصف ذلك اصطلاحاً ب(العربسة)، والتسمية

معربة من المصطلح (أرايسك) وتعني لدى ذوي التخصص الغربيين كل ما يمت بصلة لفن الزخرفة العربية الهندسية منها والتوريقية، ولعل التسمية من حيث الدلالة أشمل، في إشارة إلى كل الزخارف الإسلامية في العمارة والفن، النباتية والهندسية والخطية التي يحلو للباحثين وصف تداخلها الجمالي وتشابكها، بالتوزيع المدروس والتناوب المنظم وبالانسحاب الشعاعي الجميل، إذ تتداخل تكويناً وتلويناً وإخراجاً، الخطوط المستقيمة والزوايا والمضلعات والنجوم والخط الكوفي، بالأشكال النباتية المنحنية أو المتوتية أو اللولبية أو الدائرية، أو بأشكال الطيور أو بالخطوط النسخية اللينة البديعة⁽⁴⁰⁾.

ساد رواج فن الزخرفة الهندسية والتوريقية (الأرايسك) منذ العصر الأموي من القرن الأول الهجري، تجلى في الرسوم الجدارية بقصور الأمويين وترسخ ملياً في جامع بني أمية الكبير، وبزغ ساطعاً في تصميم قبة الصخرة المشرفة وزخرفتها في الحرم الشريف ببيت المقدس (72هـ)، وبحق تعد القبة تحفة فريدة في العمارة الإسلامية لجمال زخارفها ولروعة ترميقها بالفسيفساء Mosaic وبالفضوص ذات الألوان المذهبة وبالكتابة الكوفية للآيات القرآنية، وتعد فضوص الفسيفساء الزجاجية بالقبة أقدم زخارف الفسيفساء المعروفة في الإسلام⁽⁴¹⁾، والقبة بجمالها أقدم مثال للقبة المزخرفة في تاريخ العمارة الإسلامية⁽⁴²⁾.

وفي العصر العباسي من القرن الثاني أو الثالث للهجرة عُرفت المشيدات في البناء، ويرجح أن جدران مسجد سامراء ذات المنارة الحلزونية في بغداد، كانت مزينة بالفسيفساء من الفصوص الزجاجية، بينما زين بناء جامع حمد بن طولون في القاهرة (263هـ) بالزخارف الهندسية والنباتية الجميلة وبالزخارف النباتية والفسيفساء الملونة⁽⁴³⁾.

وفي زمن الأمويين في الأندلس من بداية القرن الثاني إلى بداية القرن الخامس الهجري، انتعش فن الزخرفة على الطراز الأموي الأندلسي، ثم حدث

الزخرفي في دقة وحداتها المتجاورة والمتراصة أفقياً وراسياً، وتصنع من الحجر أو الجص أو الخشب، كما تتصف برؤية تشكيلية مبتكرة، وتصنف ضمن قائمة المبتكرات المعمارية الإسلامية⁽⁴⁷⁾.

جمع الصانع المهرة السلاجقة في قوالب فنية زاهية أجمل العناصر الزخرفية من تركمانية وتركية وعراقية وفارسية، شاع استعمالها بعد القرن الحادي عشر الميلادي في الشام وأرجاء من المغرب العربي، بعد نجاح سلاجقة الروم في انتزاع الحكم من البيزنطيين في بلاد الأناضول، ثم تألق استعمال السلاجقة للفن الزخرفي في القرن الثالث عشر قبل وصول المغول إلى فارس (615 - 735هـ)، وكان للمغول طرازهم الزخرفي الخاص، تمثل في محاولاتهم التدريجية لاستطالة العناصر الزخرفية، وهذا أكسب المباني أناقة واتزاناً⁽⁴⁸⁾.

كذلك ممّن أولى لفن الزخرفة ولعاً ملحوظاً الفاطميون من القرن الرابع إلى منتصف القرن السادس الهجري، إذ عُرف عنهم تفوقهم بالرسم والحفر للزخارف النباتية، وابتكارهم للزخارف الفنية المتعددة الأشكال والخط الكوفي المزخرف والنجمة العربية ذات الثمانية الفروع، وقد تميزت تلك الزخارف المنحوتة بدقة الحفر ميلها نحو التماثل والتقابل وتطوير العناصر الهندسية والنباتية والحيوانية والمبالغ في زخرفة الخط الكوفي بأشكال الأوراق النباتية والأزهار⁽⁴⁹⁾.

وللعصر الأيوبي (567 - 650هـ) آثاره الزخرفية المتميزة، أهمها القباب المزخرفة بالمقرنصات وزخرفة المحراب وأعمال الفسيفساء وحجارة البوابات الملونة وسواقف الأبواب المنقوشة بالكتابات المؤرّخة والحجارة المزوّرة، والمزوّر عنصر زخرفي يُنقذ من حجارة مقصقة الأطراف، تتداخل بعضها مع بعض الداكن منها بجانب الفاتح بتناوب متعاكس في الشكل، والطرف البارز منه يُعشق بنظيره الطرف الغائر، لهذا يسمى بالفقرات المعشقة، وتعرف في مصر بالأسافين ومنها الرخام المسفن،

الانصهار الجميل بين الفن الزخرفي المغربي والفن الزخرفي الأسباني زمن حكم المرابطين في المغرب، بعد أن ضموا الأندلس إلى دولتهم سنة 483هـ.

وازداد رواجاً زمن حكم الموحيدين منذ سنة 524هـ بعد امتداد سلطانهم ليشمل المغرب والأندلس، وقد تحقق من ذلك الانصهار الفني والاتصال المكاني، الاندماج الفني بين الفنون الزخرفية الأندلسية والفنون المغربية، وقد لوحظ في الطراز المغربي الإسراف في زخرفة المباني حيث تغطي المساحات بالزخارف، وكان للمقرنصات شأن عظيم في زخارف هذا الطراز وتزويقه⁽⁴⁴⁾.

وكان لا بد من الإشارة إلى زخارف الفن الإسلامي في غرناطة زمن حكم ملوك بني نصر الذي امتد إلى سنة 897هـ بعد زوال حكم الموحيدين سنة 632هـ، وتمثل زخارف قصر الحمراء أنموذجاً لامعاً لمستوى التطور المفرط الجميل للفن المعماري الزخرفي الإسلامي، وتميزه في روائع زخارفه الهندسية والنباتية والكتابية الملونة، وفي مقرنصاته البديعة، ويعزى كذلك إلى النصرين حكام مدينة غرناطة أنهم أولها جل اهتمامهم بزخرفة مداخل المدارس والمستشفيات والفنادق، بينما حظيت مداخل المساجد بأهمية معمارية وزخرفية استثنائية⁽⁴⁵⁾.

وبلغ أوج ازدهاره زمن السلاجقة في القرن الخامس الهجري، فقد تميز بكثرة زخارفه على واجهات المباني الفخمة وبالقباب المقرنصة المزينة بمجموعة من المحاريب والحنايا الصغيرة المتراكبة والمتراصة بصقوف وانسياب مدروسة التوزيع والتجميع والترص، بحيث تشبه أقراص الشهد أو خلايا النحل، وهو العنصر الزخرفي الذي تتميز به العمارة الإسلامية عن غيرها من العمارات، وتعرف بالدلائيات Stalactites تشبيهاً لها بنوازل فحمت الكالسيوم التي تتدلى من سقوف المغاور⁽⁴⁶⁾.

والمقرنصات من العناصر الزخرفية في تجميل وزخرفة الواجهات أسفل الشرفات وفي المآذن، وكعنصر إنشائي في تيجان الأعمدة، ويكمن جمالها

في زخرفتها وتزيينها بالقباب والعقود والحليات المعمارية والحجارة الملونة، وتزيين البوابات بأنماط جديدة من تيجان الأعمدة الرخامية ومقرنصاتها، واستعمال الفسيفساء الرخامية، وكذلك النقش الحجري للرسوم الهندسية، أما السقوف فقد زخرفت بنقوش زيتية مذهبة متعددة الألوان وحلبت زواياها وأواسطها بحليات زخرفية مذهبة⁽⁵³⁾، كما شاع استعمال الألوان في الزخارف المحفورة ضمن الحجر لتزيين البيوتات الكبيرة والقصور، واعتمد بدلاً من زخرفة الخشب بالحفر طلاء العروق النباتية والأشكال التوريقية بالألوان وتزويقها بلون الذهب، بينما تجلى الإبداع في تزيين المحاريب بالمر المزخرف الفاخر وزخرفة تاجها بزخارف نباتية محورة، وتزيين عقود الإيوانات بدوائر من الجبس مفرغة بأشكال زخرفية من الداخل والخارج⁽⁵⁴⁾.

وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي ظهر على الفن المعماري التركي ما عرف بـفن الروكوكو وتعني زخرفة الجدران بالزهور وبعناقيد العنب وبالستائر وبالمناظر الطبيعية وبمناظر المنتزهات والحدائق، وفي الغالب تحلى بالرخام ويخط المهرة الخطاطين الأتراك، وبهذا أسهم الأتراك بقسط وافر في النهوض بـفن صناعة الزخارف وتطوير تنوعه الجمالي ومضامينه التعبيرية الإسلامية، ويمثل المهندسون المعماريون الأتراك خير من أجاد تقنية البناء بإتقان جميل، فقد شهد التاريخ المعماري الإسلامي إبداع المهندس التركي سنان (ولد في أواخر القرن الخامس عشر وتوفي عن عمر ناهز المائة عام ونيّف) حينما أنجز بناء 63 مسجداً وشيد الكثير من المدارس والقناطر والقصور والخانات والصوامع والأضرحة، فكان له الفضل الأكبر في ازدهار العمارة التركية العثمانية⁽⁵⁵⁾، بل أسهم في نشر جماليات البناء الزخرفي الإسلامي خارج بلاد المسلمين بالشرق، وأظهر الأتراك بوصفهم رسلاً للفن الإسلامي.

كما أجاد الأيوبيون فن الزخارف الجصية في جدران المشيدات من الداخل، وعنايتهم بالزخارف الخشبية لتوابيت العظام، وبالحشوات الحجرية المنقوشة بالكتابات المؤرخة ذات الأطر المزخرفة⁽⁵⁶⁾.

ثم مالبت أن تطور تقنياً في العصر المملوكي (648-923هـ) حينما تميز بتنوع أشكاله وتكويناته، فظهرت قصور مصر وجوامعها في عهدهم مكسوة بالرخام وبالزجاج الملون وبالنقوش المموهة بالذهب، وبزخرفة الواجهات بالحشوات الرخام وزخرفة القباب الحجرية بالنقوش البارزة، وشيدوا بإتقان المداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة وتسمى (أَبْلَقْ Ablag) وهي الصفوف الحجرية الأفقية التي تتناوب فيها الألوان⁽⁵¹⁾، كما ازدادت تطوراً المزروعات الحجرية وصارت على شكل الحشوات المستديرة أو المربعة، إلى جانب الحشوات الزخرفية الهندسية والتوريقية على واجهات الجوامع والمدارس.

تميز عصر المماليك بالغنى الزخرفي وبتفوق جمالياته، خاصة في مجال استعمال الفسيفساء الرخامية الملون الذي تكوّن منه زخارف نباتية أو هندسية، إلى جانب الفسيفساء الزجاجية، وكذلك الزينة الفائقة الجمال للمقرنصات الحجرية ذات النهايات المثثة على بوابات الجوامع. كما عُرف في عصرهم الرنوك Eraldry-Blazon وخاصة بمشيداتهم في دمشق، وهي شعارات أو رموز للسلطان أو نائبه أو لصاحب منصب رفيع، وكذلك استعمالهم المتقن للخزف في كسوة الجدران الداخلية للجوامع، والعناية بالزخارف الخشبية من حفر ونقش وحشوات وتزليل وتطعيم بالصدف⁽⁵²⁾.

وبحلول العصر العثماني شاع منذ القرن الخامس عشر الميلادي صدى فن الزخارف التركية بالمغرب والشرق، وبرزت خصائص جديدة هي في الغالب استمرار لخصائص الفن السلجوقي، ولكن مالبت أن استقل الطراز المعماري التركي بخصائصه الزخرفية، خاصة بالجوامع ذات المنارات المشوقة برؤوسها المدببة المخروطية التي تفنن المصممون

تحسين الأثر بالزخرف:

لفن التزيين بالزخارف أثره في تبلور الخصائص الجمالية، وذلك من خلال تحسين العناصر الجمالية للمبنى التراثي وتهذيبها، مثل تحسين الخط الكوفي والخطوط القديمة الأخرى، وأثره في أعمال المشربيات والشرفات والمحاريب والمنابر وأشغالها، وتطعيم هذه الجماليات بالسن والعاج والأبنوس والصدف، وبالألوان الذهبية والفضية والنحاسية.

وكثيرة هي الوسائل الفنية في كيفية تحسين الأثر المعماري بالزخرف، ولأمناص من استعمالها لإنجاز درجة عالية من الجمال المتقن والتنسيق الحسن للأثر المراد تزيينه، يرد ذكرها في عدد من التعاريف المتفق بشأنها لفظاً ودلالةً، منها التخريم Piercing في الخشب لتشكيل لوحات كتابية أو مناظر طبيعية أو طيور وماشابه، والتخريم إما نباتياً على الخشب أو الحجر، وإما نقشاً أو خيطاً. والتذهيب Gilding لإضفاء جمال فوق جمال بإضافة الذهب إلى مادة أخرى، أو تلبس بالفضة بالذهب أو الذهب بالفضة وهذا يعرف بالتكفيت Damascening أو التلبس Incrustation⁽⁵⁶⁾.

ومن الوسائل كذلك الترخيم Marbling ويعني الاستفادة من الرخام - المرمر - Marble كعنصر زخرفي يضيف ملمعاً أخاذاً ويزيد الأثر رونقاً. والتزهير Floral Designs وتعنى الزخرفة بأشكال الأزهار، على غرار ما عرف بالتشجير Arborization أي الزخرفة بأشكال الأشجار وأغصانها، ويتشابه كل من التذهيب والتشجير في طبيعة استعماله بوسيلة التوريق Foliate التي تتداخل الزخارف فيه من أشكال أوراق الشجر والنباتات، ويبدو الأثر بكل هذا آيةً من الروعة والهندام المعماري الجميل.

كذلك من اللوازم المتبعة في فن التجميل بالزخارف ماسمي بالتشبيك Enlacement- Netting-Interlacing تتداخل فيه الخطوط الهندسية مستقيمة أو متعرجة فلا يعرف مساره ولا أوله من آخره، أما حينما يمتزج الخشب بالمعدن النفيس

في أشكال زخرفية بديعة فهذا يعرف بالتطعيم Inlaying، يتم فيه الحفر في الخشب ثم تثبيت الزينة المعدنية من الفضة أو القصدير أو النحاس وكذلك الصدف والعظم في هذه المواضع المحفورة، ونجدها في الغالب لزخرفة الأثاث والمفروشات من الأبواب والنوافذ والخزائن وكراسي الصحف، ومن التطعيم أيضاً الرخام بالصدف ويكثر وجوده في المحاريب والمنابر⁽⁵⁷⁾.

ومن الزخرفة فن التعشيق Jogging في إشارة إلى عشق المادة الزخرفية بأخرى، وتطلق التسمية كذلك على ربط جزأين متساويين في الشكل والحجم، ونجده بالحجر إذا التحم بمواد زخرفية أخرى وتداخل بعضه مع بعض هندسياً أو نباتياً، ويسمى بالحجر المزور⁽⁵⁸⁾.

الحفاظ على خصائص الفن المعماري الإسلامي**ومقتضيات الحداثة:**

شهد العالم الإسلامي نشاطاً لانظير له في مجال التحسينات الإنشائية للتراث المعماري، بإشراف المؤسسات العربية والإسلامية المعنية بحفظ التراث الحضاري للمدن الإسلامية، وفي إطار الاهتمامات العربية والدولية بالمدن التراثية، ومن منطلق المفاهيم العلمية للحفاظ عليها، واستجابة للمواثيق الدولية كميثاق واشنطن لعام 1987 للحفاظ على المدن والمناطق التاريخية⁽⁵⁹⁾، وكميثاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ELECSO) التي تأسست عام 1970 بعناية الجامعة العربية، لنشر معرفة التراث وتوجيه الرأي العام العربي وتحسينه في الحفاظ على المدينة التراثية مرآة للحضارة الإسلامية⁽⁶⁰⁾. وتلبية لمناشدة منظمة العواصم والمدن الإسلامية التي أنشئت في مكة عام 1980 لحفظ التراث الحضاري بالمدن الإسلامية.

في تعريف الاتفاقية الدولية للحفاظ World Heritage Conservation يرد اللفظ Conservation بمعنى الحفاظ، أي مجمل الاجتهادات التصميمية

الموروثية مع عناصر جديدة معاصرة، مثل ما حدث عندما اختلطت عناصر الفن المعماري العربي والفارسي والبيزنطي وانصهرت فيما بينها لإنتاج الفن الإسلامي الأول في العصر الأموي، ترتب عنه إنتاج فن إسلامي أنيق، وُحد التضاد والاختلاف واحتفظ بعناصر العمارة الإسلامية الثلاثة المتانة والجمال والوظيفة.

ونجد ما يؤكد هذا في احتفاظ المسلمين بالمعالم المعمارية الكبرى لدى حضارات غيرهم، فلم يتعرض المسلمون للكنايس بتدميرها أو الإمساس بعناصرها الإنشائية، بل أضيف إليها المحراب والمنبر الخشبي لتحويلها إلى مسجد، مثل ما حدث بعد فتح القسطنطينية عام 1453م لكنيسة القديسة صوفيا التي تمثل لمسيحي الإمبراطورية البيزنطية الكنيسة الأم⁽⁶⁵⁾، وحينما اقتضى إضافة عناصر جديدة للحفاظ على معالمها الأثرية، تم ذلك وفق معايير الحفاظ وفي تناغم جمع القديم والجديد في رباط من التجانس⁽⁶⁶⁾.

ثم ما لبثت أن تظافرت الاهتمامات في العصر الحديث، على أثر تفاقم خطر العوامل المدمرة للتراث المعماري، ومن أكثرها ضرراً الحروب العالمية والثورات وأعمال التحديث المعماري، فكان لا بد من الخطو قدماً نحو الحفاظ على المباني التراثية وبالوسائل التقنية المتاحة.

ويعدّ توثيق المباني التاريخية - بوجود أرشيف خاص - أولى خطوات الحفاظ، لأن نظام العمل في مجال الحفاظ على العمارة التراثية لا يتأتى تنفيذها بمعزل عن الأرشيف⁽⁶⁷⁾، شأنه في ذلك شأن أهمية إدارة المصادر التراثية Cultural Resources جزءاً مكملًا لعملية الحفاظ والترميم كما هي في مفهوم المدرسة الأوروبية، وكما هو العنوان الأساس لعملية الحفاظ والترميم في مفهوم المدرسة الأمريكية⁽⁶⁸⁾.

ومن الخطوات اللازمة للحفاظ، دراسة القيم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وتحديدها للمبنى الأثري، وتحليل المواد الإنشائية

التخصصية لفهم تاريخ التراث ومعانيه وإنقاذه وإعادة ترميمه⁽⁶¹⁾، على أن تعتمد تلك الجهود على مهارات الحفاظ من حيث التفحص والتوثيق والترميم والاعتناء الوقائي⁽⁶²⁾.

ويندرج في إطار ذلك كل التنوع التراثي الأثري والثقافي والتراث المعماري والتراث الطبيعي، الملموس منه وغير الملموس، لكل منها على حدة تعريف اختصاصي ومجال علمي ومواثيق محلية ودولية، تحدد مصادرها وكيفية إدارتها وحمايتها، ولها منفردة قيمة محلية وعالمية من وجهة نظر العلم كمفاهيم معروفة موثقة، أو في نطاق جهود المحافظة على معالمها وإعادة تأهيلها إنشائياً ووظيفياً وثقافياً.

إن ازدياد الحاجة إلى الحفاظ على التراث إنما يكون نتاج النضج والتطور الفكري والثقافي وبدافع حضاري، ففي أوروبا مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، نشأ بين الفنانين والمعماريين ما عرف بظاهرة إرجاع الطرز القديمة وإحيائها Revival Styles، بينما أقدم نداء بالحفاظ على الطرز القديمة كان في عصر النهضة الإيطالية، عندما كتب الفنان المثقف Raffello إلى البابا ليو العاشر رسالة شهيرة تعود على الأرجح إلى العام 1512م، عبّر فيها عن عظم الحضارة الرومانية وطالب البابا بحفظ المعالم المعمارية في إيطاليا⁽⁶³⁾.

إلا أن الريادة في الدعوة إلى حماية التراث كان للعالم العربي، وتعود إلى العصر البيزنطي، إلى تاريخ أول مجمع للكنايس المسيحية سنة 325م على لسان الأسقف مكاريوس بطريرك بيت المقدس الذي نادى بإنقاذ ما تهدم من المباني في الأماكن المقدسة وحاجتها إلى الترميم والحماية⁽⁶⁴⁾، وبهذا يكون للعالم العربي السبق التاريخي في الحفاظ على التراث المعماري بما يقارب اثني عشر قرناً قبل عصر النهضة الإيطالية.

ثم وعلى مدى التاريخ الإسلامي، استخدمت المجتمعات العربية والإسلامية عناصر معمارية من أنماط مختلفة، أدى إلى مزيج من العناصر المعمارية

الفني كما يهدف أيضاً لإنقاذ الدلائل التاريخية⁽⁷¹⁾، وربما لدقة العمل يتطلب التوثيق المعماري الفني للمباني التراثية التقليدية متخصصين في تاريخ النقد الفني والمعماري، وهذا يساعد في اتخاذ القرارات الصائبة في أثناء عمليات الترميم والإدارة⁽⁷²⁾.

فالترميم Restoration فعل لضبط وصف هيئة الخصائص التاريخية للإنشاء كما ظهر في مدة محددة من التاريخ، وفيه يتم بناء أجزاء مفقودة في المبنى الأثري باستخدام مواد جديدة لإعادة الشكل الأصلي للمعلم، وهذا من عمليات الحفاظ المعروفة بالاستخدام المتوافق Adaptive use، أي تحقيق التغيير الطفيف في البناء مع الاحتفاظ بخصائص المبنى المعمارية والفنية⁽⁷³⁾، وعلى إدارة المبنى المعماري التراثي تحليل هذه القيم والخصائص ضمن سياقها التاريخي⁽⁷⁴⁾.

لذلك تنوّه المواثيق الدولية إلى أهمية صلة عملية الترميم بما قبلها من الدراسات الأثرية والتاريخية حتى يظل المبنى التراثي بتشكيلته التكوينية المعمارية دليلاً واضحاً على القيمة التاريخية والأثرية والجمالية⁽⁷⁵⁾.

بالمقابل تتعارض تلك المعالجة مع مفهوم الترميم الطرازي Stylistic Restoration، وتعني الحفاظ على وحدة الطراز للمبنى بحسب الطراز الغالب فيه من ناحية الشكل والإنشاء⁽⁷⁶⁾، بمعنى لو احتوى المبنى الأثري على عدة طرز معمارية، فالغلبة للطراز الغالب، وفي أحيان أخرى الحفاظ على طرازين معماريين لحقبتين تاريخيتين وإزالة الطرز الأخرى⁽⁷⁷⁾، ويتبين هنا الضرر واضحاً حينما تؤدي مثل هذه المعالجات إلى طمس كثير من معالم المبنى الأثري التقليدية وإلى تقويض قيمتها التاريخية والحضارية.

لم يحظَ الترميم الطرازي بعناية ذوي التخصص، ولا سيما في البلاد العربية وفي كثير من البلاد الإسلامية التي سارت بمنحى آخر في

للمبنى تحليلاً مختبرياً، وذلك باعتماد التقنيات الإنشائية الحديثة متى كان ذلك ضرورياً، وبالإمكان استخدام التقنيات الإنشائية التقليدية، بل يجب الاعتماد بداية على هذه التقنيات القديمة، وإذا تعذر هذا لا بأس من التقنيات الحديثة وهذا من أسس الحفاظ⁽⁶⁹⁾.

يبدو ملحوظاً لدى كثير من المجتمعات الإسلامية اهتمامها بمراقبة ديمومة المنظر التقليدي ومعاينة معايير الجديد المضاف، وفي هذا حفاظ لقيم أصيلة تبدو من خلاله المعاصرة ذلك النتاج الحضاري الفني الممارس حاضراً.

إن من أولويات الحفاظ على التراث المعماري Architectural Conservation مراقبة المعلم المعماري لتحديد مواد الإنشاء الأصلية، ثم تحديد نسبة التلف وأسبابه وكيفية معالجته، وبموجبه تتحدد طبيعة الأعمال اللازمة، فيما لو كانت ترميمية أو اعتناء بالبيئة فقط أو بمشاكل التخطيط الحضري أو بالأمر القانوني التي تنظم هذه الاهتمامات والأولويات. وهذا ما عرف بالحفاظ الوقائي Anastylis أو بالحماية Protection، أي التأكيد على سلامة التراث التاريخي بالسبل الممكنة المتعارف عليها علمياً وقانونياً، بقصد تفعيل الجهود المتخصصة المتاحة نحو إعادة البناء Reconstruction التراثي أو جزء منه، وهذا مسموح به في المباني التاريخية بشروط مقننة وبعلمية متناهية، وغير مسموح به في المواقع الأثرية.

وتشير المواثيق الدولية في مثل تلك الجهود إلى العناية الفائقة بالنسيج التاريخي للمعلم المعماري الذي يمثل دليلاً عليه، ولا يمكن فصله عن النسيج الحضري التراثي الذي هو جزء منه⁽⁷⁰⁾، ولذلك تفرض المعطيات في أثناء إعادة البناء، التثبت من أن إعادة تأهيل المبنى التراثي إنما جرى بطريقة صحيحة وبناءً على دراسة أثرية وتاريخية، وأنه على أساس ذلك قدرت الماهية الجمالية والماهية التاريخية، فالترميم للمعالم يهدف إلى إنقاذ العمل

مردوده الاقتصادي أو الثقافي أو الديني، ويجعل المبنى في حالة عمرانية متجددة، كما يضمن العائد الاقتصادي تغطية حاجة المبنى عند صيانته⁽⁸⁴⁾، وبهذه الطريقة من طرق الحفاظ نعيد للتراث المعماري حيويته ودوره الفاعل، وتحقق لعملية الحفاظ نتائجها في ما يمكن تسميته بإعادة الفاعلية Reactivation للأثر المعماري بعد تحويره، وهكذا يتم الجمع بين خلفية المبنى الأثرية التاريخية من ناحية، وصيرورته الإنشائية التصميمية الحاضرة من ناحية أخرى.

وتكمن المحصلة مما تقدم شرحه، في أهمية رصد عبق العمق الحضاري الزاهر للتراث المعماري الإسلامي، وقد تصدر التزييق بالزخرف وخاصة تحسين الأثر بالتخريم والتذهيب والتزهير والتشبيك والتشجير والتطعيم والتعشيق والتوريق قائمة الوسائل المعتمدة في إضفاء مستوى جمالي راقٍ لفن الزخرفة في العمارة الإسلامية، كما أن تطويع صلة التراث المعماري بمقتضيات الحفاظ المعاصر، قد أسهم في إعادة تأهيل القيمة التراثية الوظيفية والجمالية للمعلم المعماري، وبدرجة من الإجابة والإبداع والحرفية.

الخلاصة :

تخلص الدراسة إلى الاستنتاجات الآتية:

- إن في مزج العناصر المعمارية العربية الإسلامية بعناصر فنية وتصميمية من تراث الحضارات الأخرى سبباً فيما تميزت به لاحقاً العمارة العربية الإسلامية من وحدة التضاد والاختلاف في البناء، دلّ هذا بامتياز على درجة من الرقي المكتسب والتفرد، وأسّس عبر مراحل من تطور الفن المعماري مبدأ مجارة التجارب الحضارية المعمارية للشعوب والأمم، حتى صار هذا الأثر نمطاً في الإنجاز المطلق للبناء العربي الإسلامي منذ العصر الأموي والعباسي إلى ما بعد ذلك، وحفظ لياقة الموروث المعماري الإسلامي ودوره الوظيفي.

أعمالها الترميمية ومنذ وقت مبكر، وذلك باعتماد طريقة تقوية البناء Consolidation باستخدام مواد مثبته أو إضافة فيزيائية إلى النسيج الأصلي للمبنى، والاعتناء بالطابع الأثري القديم وبشكل الأثر⁽⁷⁸⁾.

وفي أوروبا ظهر في بداية القرن التاسع عشر ما عرف بإحياء الطرز القديمة Revival Styles، وهذا امتداد لاهتمام فناني الفن الكلاسيكي الروماني بالمنتج المعماري القديم الموروث منذ عصر النهضة الإيطالية، ويعد Raffello أبرز رواد هذه النظرية⁽⁷⁹⁾.

ونجد في منحى آخر مفاير اعتماد الاستنساخ Replication في مجال إعادة تأهيل المباني التراثية للحصول على نسخة عن الأصل⁽⁸⁰⁾ Replica، نسخة طبق الأصل لعنصر معين من عناصر المبنى لإعادة الجزء المفقود أو التالف، وتتم في الأجزاء الزخرفية من الأثر التاريخي دون زيادة، فإذا تجاوز هذا إلى غيره عرف بالترميم. وهناك كذلك معالجة أخرى تعرف بالصيانة أو الإبقاء Preservation وجل مهامها الحفاظ على الهيئة الحالية للمبنى وإيقاف التهري باستخدام طرق الحماية ومقاييسها، لاستدامة الشكل الأثري وتثبيت مظهره التاريخي دون وضع أعمال حديثة⁽⁸¹⁾، إلا بالقدر الذي تسمح به المعالجة الفيزيائية⁽⁸²⁾.

إن الغرض من استخدام الطريقة المثلى للحفاظ على الإنشاء الأثري وعلى قيمته التاريخية والحضارية، إنما لإحياء حال المبنى بعناصره التراثية، ومحاولة لتجديد استخدامه بشكل فاعل ومتجانس، وبهذا القصد جرى تفسير مفهوم التأهيل كما هو في المفهوم الأوروبي وبالتحديد المفهوم الإيطالي، بمصطلح التعاليف والاسترجاع⁽⁸³⁾ Recuperation، بهدف إيجاد استخدام جديد للمبنى الأثري وفي هذا استمرار الحفاظ عليه، وإعادة وظيفة المبنى بشكل معاصر وفي هذا ضمان لديمومة جانب الصيانة.

إن في استعادة المبنى الأثري لعافيته إمكانية مزاولته مجدداً لوظيفته الاستخدامية، ولهذا

- أوجد تدني الاهتمامات والمسؤوليات في تتبع خصائص القيمة التراكمية للتراث عجزاً مزمناً في فهم دوره الحضاري ومردوده الثقافي، فجاء في معظمه دون استقراء كاف. وإذا ثمة استثناء فالمحاولات السابقة بشقيها النظري والتطبيقي أقل من الطموح بكثير، على الرغم من أهميتها، فقد انحسر اهتمامها في المظاهر التراثية الخلافة الجاذبة للسياحة، من دون التوظيف المثمر للتراث ثقافياً وتقنياً وجمالياً، ولم يتم إنصافه منجزاً تميز بديناميكية التغيير حتى يتسنى فهمه بمنظار العصر.
- ما زال تأثير الفجوة ملحوظاً بين ما ينبغي فهمه في التراث من أهداف وغايات وما يتطلبه من وسائل وتقنية من ناحية، وبين حجم الإجراءات المتبعة والجهود المبذولة من ناحية أخرى، وهذا مرده إلى غياب الإمام الوعي التام لطبيعة المهام والصلاحيات وكيفية تديرها وتنفيذها، ربما في هذا استثناء في فهم التراث الديني بعد الأخذ بالأسباب والدواعي. والأمر كما يبدو ما زال في إشكالية علاقة الجانب العلمي بالتراث في كثير من البلاد العربية، هذه العلاقة التي ظلت رهن المساعي الموسمية والجهود الإدارية والمالية المقننة، وكان له تأثيره في إعاقة فاعلية المهام الموكولة، ومن ثم لا تؤدي إلى نتيجة متوخاه.
- لا بد من التأكيد على مضاعفة الجهود المنظمة المشتركة ومن دون كلل، للمراكز الثقافية والفكرية وللمؤسسات المجتمع المدني وللجهات الرسمية ذات العلاقة، لدراسة المعطيات الملحة ووضع التخطيط الوافي تمهيداً لحسن التنفيذ. وفي هذا الاتجاه لا غضاضة في تباين النظرة إلى التراث المعماري اعتماداً على ثقافة أو عقيدة أو فكر، وما يسفر عنه من تباين في التفسيرات والمفاهيم وأحياناً التناقضات، طالما تعبر في مجملها عن عظمة هذا التراث وارتباطه في شكل ما بالمعاصرة، وفي هذا يكمن العزم الأكيد المتجدد لإحياء ملامح البهجة والتناسق
- والانسياق الجمالي التدريجي لفن الصنعة.
- التوصيات والقرارات المنبثقة من المؤتمرات والندوات العلمية حول التراث العربي والإسلامي ومنها التراث المعماري وعلى مدى ربع قرن، بحاجة إلى تفعيل حقيقي وتقنية حديثة تلبي المتطلبات الراهنة، وتكون قادرة على تجديد جدوى تلك القرارات والتوصيات، وأن نترك العبث بالتراث كوسيلة للاستهلاك الإعلامي المفرط، دون أن يقترن بالمردود الديني والثقافي والفني والاجتماعي لحضارة الأمة، وبالمردود السياحي الهادف.
- لم يحظ التاريخ الجمالي في الإسلام بدراسات معمقة رصينة، جامعة لمظاهره ودلالاته ومجالاته وما ترجم عنه، ويبحث تطوره الحضاري مقارنة بالتاريخ الجمالي لدى المعتقدات والشعوب الأخرى، ولربما يرد في بعض الدراسات ما يدل على كل ذلك في سلسلة من المعارف المقتضبة أو في كتب المحاضرات العامة، لكنها لا ترتقى إلى مستوى المعلومات المستوفاة المفصلة الشاملة. لذلك فالجهات المعنية بالتراث الإسلامي بحاجة إلى محفزات جديدة وإمام واهتمام وروية مغايرة، حتى يتسنى لها تعضيد هذا الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، بتوثيقه في عدد من المؤلفات واعتماده في المناهج الدراسية وتشجيع بحثه بعمق.
- أن يتظافر الجهد من قبل مؤسسات التعليم المتوسط والعالي بالدول العربية والإسلامية، لإحياء الفن العربي الزخري (مدرسة الرقش العربي)، وعلى المعاهد المتخصصة بالفنون التشكيلية وبالفنون الهندسية والكتابية إعداد مفرداتها المنهجية على أسس علمية وتقنية حديثة.
- بات مطلباً ملحاً اعتماد المصطلحات ذات المرجعية اللغوية العربية، من ألفاظ وتسميات وتعريف ووسائل ووسائط، المستخدمة في توصيف الخصائص الإنشائية والفنية والجمالية

- في العمارة الإسلامية، ويستحسن التمهيد لإعداد قاموس جامع لتلك المصطلحات، مع مايقابلها من ألفاظ أعجمية أو دلالات وصفية غير عربية.
- من الأهمية بمكان التمعن في جدوى القيمة الحضارية للتراث المعماري الإسلامي بمنظور معاصر، وليكن الفن المعماري في الإسلام البوابة للعالمية، كما هو شأنها زمن الأمويين في الشام والأندلس، وكما هو حالها عالمية المكان والخصائص، منذ أن عرف الإسلام أرخبيل الملايو والصين بالشرق، وجبل طارق والأندلس بالمغرب، إلى أن شاع كالتسليم العليل ممتطياً جواد الإسلام في ربوع القارات الخمس في العصر الحديث، وقد أظهر ذلك لاحقاً عروبة فن العمارة الإسلامية من بين أهم الخصائص العامة للفن الإسلامي، أليس في هذا تأهيل حقيقي للفنون الإسلامية وعالميتها إذا ما ارتبط الأمر بالتفاضل الحضاري العالمي المفيد، وبالحدوث السائد اليوم عن تكامل الحضارات وجدوى تفاعلها المنشود مع الحضارة الإسلامية.
- ظل فن العمارة في الإسلام مقصداً لغاية، وهذا جعله وظيفياً من الفنون المتجدرة بعمق المكان والزمان، والمتجددة فنياً بحسب تأثير المؤثرات الوافدة، لذلك نجدته أقرب إلى فن الجمال الهندسي والزخرفي البديع، ولنا أن نتصور مدى التألق والأبهة والانشراح حينما ارتبط هذا الجمال بروحانية المكان، تجلى هذا في روعة الفن المعماري المنفرد الجميل لبيوت الرحمن من المساجد والجوامع التي تعد أكثر تعبيراً عما وصل إليه فن الصناعة في الإسلام من رقي وتجديد.
- لم نجد في أخبار الأمم والشعوب الأخرى ما يدل على شغف القائمين من الحكام والمحكومين واستماتتهم لثمانية قرون أو أربعة قرون من الزمن لإعادة تجديد معلم أثرى بعينه، بينما شهد ذلك الإسلام في عمارة المساجد أقدم الطرز المعمارية في التاريخ الحضاري الإسلامي.
- ظلت محاولات الحفاظ أو إعادة التأهيل للتراث المعماري موسمية الفائدة في أغلب بلداننا الإسلامية، على الرغم من الحمية والحماس للتاريخ الإسلامي وحضارته في كثير من البلاد العربية في إطار الإطراء الرسمي للتراث الوطني المجيد، بينما المسألة تتطلب أساساً دينية وأخلاقية وثقافية وفنية وتخصصية وخططاً وتوثيقاً ونشاطاً من العمل العلمي المستمر، تؤسس عليها الجهود النظرية والتطبيقية، وتنظم على أساسها المقاصد المعرفية والأغراض المادية.
- تحديث القوانين المنظمة للحفاظ على التراث الأثري المعماري والتراث الحضري عامة في العالم العربي، فلم تعد القوانين السابقة كافية ومستوفاة لحماية التراث، كذلك لم يعد مسوغاً غياب مثل هذه القوانين في بعض البلاد العربية.
- النظر إلى دور المؤسسات التي تُعنى بالتراث المعماري في العالم العربي، إذ من الأهمية تزويدها بالإمكانات كما ينبغي، والعمل على تأهيل كوادرها العلمية، وأن تناط إليها المسؤولية المستقلة في الحفاظ على التراث المعماري، وأنها الجهة المعنية بالتنسيق مع المؤسسات الأخرى ذات الصلة، بل ينبغي أن تمثل الجهة المعنية - حصرياً - بالشعارات والمصطلحات والمرادفات المستخدمة في مجال إعلام الحفاظ المعماري.
- أهمية إقرار نوع من التكافل العربي في مشاريع الحفاظ على التراث المعماري وإدارة المصادر التراثية، وتوجيه العمل العربي المشترك نحو استثمار النتائج، والتأكيد على أهمية التكافل في تحقيق الجدوى الاقتصادية والثقافية.
- إنشاء كليات متخصصة في الجامعات لدراسة فنون التراث المعماري الإسلامي، لتأهيل متخصصين من مثل المعماري المصمم لإدارة المصادر، والمعماري المرمم، والمعماري المؤرخ، وناقد عمارة وفن، والمعماري الأثري، والمهندس المدني، والمخطط الحضري، وما شابه من

وما قد يرمي إليه من إجراءات جديدة تجاه إدارة التراث وفي التعامل مع موجبات الحفاظ، بالمقابل ينبغي أن يتعاطم الدور المرتقب المنشود لمؤسسات التراث العربي الإسلامي في الحفاظ على الهوية الوطنية والإسلامية، فيما لو نظر إليها في إطار علاقاتها بالتحديات المعاصرة.

- لم يكن الإسلام يوماً على امتداد تاريخه الحضاري العام، أكثر ولعا بجذوره الفنية والجمالية عبر استنطاق تراثه الزاخر، كما هو حاله في حاضر الأمة اليوم، وعلى المسلمين البحث عن وسائل ملائمة ناجعة للوصول إلى تعميق تلك الجذور، ورعاية فروعها العالية من هبوب العصرنة.

عدد من الأفكار والمقترحات مستوحاة من الدراسة فيما ينبغي بحثه، وهي على النحو الآتي:

- تأصيل الجانب الجمالي للعمارة الإسلامية مفهوماً وخصائصاً وحفاظاً وثقافةً والعمل على إحياء إشراقه عناصره الفنية والتقنية، والحفاظ على مكنوناته الإبداعية، وذلك عبر وسائل تثقيفية متخصصة نظرية وتطبيقية.

- تتبع حال طبقة المعماريين في البلاد الإسلامية خاصة المهرة بالعمارة الطينية، والبحث عن وسائل ووسائط أكثر حداثة لتنمية مداركهم المعرفية ومهاراتهم الفنية ولمساهمة الجمالية.

- بحث أثر ثقافة المجتمع المحلي في إفراز مفردات وعناصر معمارية محددة، إذ يتصل تطور الشكل الجمالي لمفردات العمارة وعناصرها الإنشائية بثقافة المجتمعات وبشكل تراكمي متجدد.

- التثبت من جدوى العلاقة بين جودة العمران ومنطق الجمال في العمارة العربية والإسلامية، ومراعاة البيئة الخضراء حينما تتمدد التنمية العمرانية.

- الحفاظ على التوازن الإيجابي وتحديات العصر،

التخصصات المعمارية. أو إنشاء مراكز متخصصة لتأهيل كوادر في مجال الحفاظ على التراث المعماري، أو مراكز لإحياء التراث العربي الفكري الإسلامي، من أهدافها التأهيل العلمي للمتخصصين في مجالات التراث عامة، ومتابعة آخر المستجدات العلمية وآخر ما توصلت إليه الثقافة العالمية في مجال الحفاظ على التراث ومقارنتها بما توصلت إليه ثقافتنا العربية والإسلامية في المجال نفسه.

- الإرشاد إلى أهمية التراث المعماري الإسلامي في تعزيز الانتماء الوطني والقومي، وذلك عبر البرامج التعليمية، وهذا موكول بمؤسسات التربية والتعليم في الوطن العربي، ففي مراحل سابقة تعثر المسعى رغم حرص القائمين، ولربما انشغل الناس بفوائد تكنولوجيا العصر، وكاد يقترب التراث من حالة الانسلاخ، لولا الاجتهادات العظيمة لذوي الشأن العربي والإسلامي للنهوض به، وإعادة قديمه المشرق ورونق ملامحه الوضاعة.

- التأكيد على العلاقة المتجانسة بين الجانب النظري والأكاديمي والجانب الحر في الميدان في مجال الحفاظ على التراث المعماري، أي رفق العلاقة العلمية بين النظرية والتطبيق، وذلك من خلال تمويل دراسات الأكاديميين وأبحاثهم على مستوى الماجستير والدكتوراة، أو على مستوى الأبحاث العلمية المشتركة الرصينة، في صيغة من التعاقد بين المؤسسات الأكاديمية والمراكز البحثية التخصصية من ناحية، والمنظمات الوطنية أو الشركات المختصة في مجال الحفاظ على التراث المعماري من ناحية أخرى، وهذا معروف في كثير من المجتمعات المتقدمة، حتى لا تنظر الجهود الإسلامية قيد النظريات المتاحة والمعلومات التقنية والتجارب الميدانية المتواضعة.

- أن نعي جيداً تأثير التراث المعماري العالمي المعاصر على التراث المعماري العربي الإسلامي،

- تجليات الثقافة الإسلامية في تصدير لغة معمارية أكثر مرونة وشفافية من الجزيرة العربية إلى بقاع العالم الإسلامي، حفاظاً على عناصر الهوية الثقافية والدينية والاجتماعية، وعلى تنوع أنماط البناء المعماري الإسلامي في إطار ما ينشأ من تركيبات وتعايير جديدة أثر تفاعله بلغات تجارب الحضارات الأخرى.
- وهذه دراسة في مفهوم إعادة التأهيل للحفاظ على التراث المعماري وكيفية المقارنة بين التقليد والابتكار، والنظر إلى خصائص التراث وقدرة توظيفه في أطر معاصرة.
- التواءمة الحضارية بين القيم الجمالية والفنية والتصميمية التراثية للعمارة والبيئة التراثية المعتمدة، وبين العصر، وذلك في شكل من الارتباط بين المعاصرة والتراث لإحياء القيم الحضارية وتأصيلها.

الهوامش:

1. يرد لفظ التحضر أو التمدن To Civilise في وصف الانتقال من البداوة إلى المدنية أو من التخلف إلى التنوير وهذا في وصف المجتمعات. انظر: عبود، عبد الغني: الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط.1، 1981، ص 22 - 23 .
2. الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت. 626هـ): معجم البلدان، ج4، بيروت، دار صادر 1977، ص 114 - 124. ج5، ص 38، 396. انظر في وصف المدينة الإسلامية :
- Hourani. A., Stern, S. M.: the Islamic City. colloguium oxford 1970.
3. من تلك الدراسات مقالة: بحث ونظرية في علم الاجتماع التمدني للباحث الاجتماعي.
- Cideon Sgoberg: Theory and Research in Urban Sociology in the Study of Urbanization 1966
- التحولات في تفسير وشرح الدراسة المقارن للتمدن الإداري والسياسي.
- Robert R. Alford: Explanatory variables in the comparative study of Urban Politics and .. Administration 1969.
- أبعاد الدراسة المقارن عن أنظمة التمدن.
- Robert. T. Daland: comparative Perspectives of Urban Systems.
- مشاكل التحليلات المقارنة لأنظمة التمدن السياسي.
- Rosenthal. Donald: Problems in comparative Analysis of Urban Political Systems 1967.
- كتب Arnold Toynbee عن التطورات التخطيطية والعمرانية والاقتصادية في المدينة الأوروبية بعد الثورة الصناعية، ووصف هذا التطور بالتفجر التمدني Urban Explosion. أنظر كتابه : المدن في حركة Cities on the move, oxford 1970.
4. المدنية نسبة إلى المدينة، وتعني الحضارة واتساع العمران، كما يقال حضري أي منسوب إلى الحاضرة. وتمدن عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة. انظر : المعجم الوسيط، ج2، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1381هـ / 1961، ص 865. ابن منظور، لسان العرب، مادة مدن، ج6، مصر، دار المعارف، د.ت. ص 4161 .
5. Louis Mumford, The City in History, 3.
6. فتحي، حسن: العمارة العربية الحضرية في الشرق الأوسط، بيروت 1972، ص 24 .
7. عليان، جمال: الحفاظ على التراث الثقافي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 322 2005 ص 219.
8. عبد المنعم، بغداد، أسنة العمارة، الكويت، مجلة الكويت، العدد 283، مايو 2007، ص 74 .
9. تبين خصوصية رمز العمارة المحلية حينما أشير إلى تعريف نمط البناء الطيني في وادي حضرموت باليمن بالمدرسة الشعبية. وهو الإرث المعماري المزدوج الذي جمع بين الحرفة والزخرفة والنجارة والديكور الشعبي

- وصناعة المدر والنورة وعمليات تقطيع أحجار الأعمدة. انظر: رموضه، سالم: الحفاظ على إرث العمارة الطينية «وادي حزموت دراسة حالة»، طاليمن، بحث منشور، جامعة حزموت للعلوم والتكنولوجيا، د.ت.، ص 4. وهذا يفرض اتجاهات وحلولاً محلية للحفاظ، إذا ما تم بعناية وبجدية بحثه وتطويره تقنياً.
10. بولاديان، فيليب: الحفاظ على التراث المعماري في المدينة العربية التقليدية، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد، 1991، ص 62.
11. جار الله، عبد الرحمن حسن: المسجد من المدرسة الإسلامية - الفروق الإنشائية «رؤية جديدة»، صنعاء، مجلة الإكليل، العدد 28، 2004، ص 72.
12. عليان، المرجع السابق، ص 75.
13. ترد من الألفاظ لفظة الخدمات والأشغال عند الحديث عن المدن والعمارة، وهذه غير مستساغة لدى البعض، ويحبذ تسميتها بالمرافق المدنية أو البلدية.
14. يشكل البيت العربي مجالاً مفتوحاً وواضحاً لعلاقة الإنسان بالعمارة، ولعله يعطينا أولى الإحياءات التاريخية المستقبلية باتجاه (أنسنة العمارة) والابتعاد عن العمارة المحايدة والعمومية والخدمية. انظر: عبد المنعم، المرجع السابق، ص 76.
15. الخانقاوات منشآت تخصص لإيواء المتصوفة والمنقطعين للعبادة، تسمى في الدولة العثمانية بالتكايا، أما الوكالات فهي مأوى للتجار المسافرين والقوافل وتسمى أيضاً الخانات، ومن مثلها السمسرات وهي مخازن لتجارة الجملة أو كمحلات لخزن البضائع أو أماكن لصناعات حرفية أو مراكز تجارية أو أماكن إيواء. وتمثل من ناحية معمارية كما هي في اليمن صورة فريدة للإنجاز المعماري العربي داخل الأسواق التقليدية. انظر: الأشعب، خالد: مراتب المدن في اليمن، بغداد، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد 12، 1407هـ / 1983 ص 154.
- والبيمارستانات أماكن للاستشفاء فيها ما يلزم من أطباء وأدوية طبية. والأسبلة تعني السقاية لسقاية المارة وإروائهم، أي مبنى فيه ماء يطلق عليه اسم السبيل، ومنشآت الأسبلة فرعاً من فروع المباني المدنية في العمارة الإسلامية، وتندرج تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحاً اسم «العمارة أو المنشآت الخيرية». وتعد الأسبلة القائمة في الحرم القدسي الشريف خير شاهد على ما وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية من الإتقان الفني والمعماري، ففي ساحة الحرم الشريف تسعة أسبلة يعود تاريخ إنشائها لفترات الإسلامية الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ومرتببة حسب فترات الإنشائية: سبيل الكأس، الشعلان، البصيري «باب الحبس»، قايتباي، باب الحكمة، بركة السلطان سليمان، الشيخ بدير، باب حطه، وسبيل باب المغاربة.
16. بريكز، اس مارتن: الهندسة المعمارية، في كتاب: تراث الإسلام، تأليف مجموعة من المستشرقين، تعريب: جرجيس فتح الله، بيروت، ط.3، 1978، ص 232.
17. الباشا، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1990، ص 85.
18. بريكز، المرجع السابق، ص 232.
19. ماجد، عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.4، 1978، ص 98.

20. المقريري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريرية)، ج1، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، د.ت.، ص330. الحموي، المرجع السابق، ص662 .
21. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت614هـ): رحلة ابن الجبير، القاهرة، مطبعة السعادة، ط.1، 1326هـ، ص12 .
22. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.، ص226 .
23. الباشا، المرجع السابق، ص24 .
24. الباشا، المرجع السابق، ص92، 94 .
25. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ): الكامل في التاريخ، ج2، بيروت، دار الفكر، 1978م، ص12-13، 29 .
26. عكاشه، ثروت: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، 1981، ص14-15 .
27. المقريري، المرجع السابق، جزء2، ص246 .
28. عبد الجواد، توفيق احمد: العمارة الإسلامية (فكر وحضارة)، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د.ت.، ص478 .
29. السمهودي، نور الدين علي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج2، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، 1971، ص718. انظر: الباشا، المرجع السابق، ص25 .
30. بريكز، المرجع السابق، ص233-234 .
31. عبد الجواد، المرجع السابق، ص44 .
32. عبد الجواد، المرجع السابق، ص65-66 .
33. المقريري، المرجع السابق، ص363 .
34. عكاشه، المرجع السابق، ص255، 257، 259 .
35. عبد الجواد، المرجع السابق، ص67-68 .
36. عكاشه، المرجع السابق، ص51-52 .
37. عكاشه، المرجع السابق، ص51. عبد الجواد، المرجع السابق، ص83 .
38. حسين، محمد ابراهيم: العمارة الإسلامية شاهد على العصر، جده، مجلة المنهل، العدد 454، السنة 53، المجلد 48، رمضان وشوال 1407هـ / مايو 1987، ص238 .
39. الشهابي، قتيبه: زخارف العمارة الإسلامية، دمشق، مطابع وزارة الثقافة، 1996، ص9 .
40. الشهابي، المرجع السابق، ص29 .
41. شافعي، فريد: العمارة العربية، القاهرة، المجلد الاول، 1970، ص263 .

42. سامح، كمال الدين : العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1964، ص 11. انظر عن معنى اللفظ mosaic: Oxford Wordpower, 486.
43. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 142-143.
44. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 66، 251، 255، 470.
45. بالباس، ليوبولدو تورس: المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمة: إيودورودي لابنيا، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط.1، 1423هـ / 2003، ص 578
46. الشهابي، المرجع السابق، ص 9، 327 .
47. الشهابي، المرجع السابق، 327. غالب، عبدالرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، جروس برس، 1988، ص 397-398 . وزيري، يحي: القبة في العمارة الإسلامية بين أصالة التصميم والتطوير الواعي، القاهرة، مجلة عالم البناء، العدد 72، 1986، ص 135 .
48. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 66.
49. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 125-126. الباشا، المرجع السابق، ص 190، 191 .
50. الشهابي، المرجع السابق، ص 10، 315.
51. الشهابي، المرجع السابق، ص 15.
52. الشهابي، المرجع السابق، ص 12-13.
53. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 267-268.
54. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 263، 266.
55. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 269. الباشا، المرجع السابق، ص 89-90.
56. الشهابي، المرجع السابق، ص 13. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 478. انظر معنى الألفاظ والمصطلحات الانجليزية الواردة في السياق المشار إليها في هذا الهامش: Oxford Wordpower, 321, 556.
57. الشهابي، المرجع السابق، ص 13. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 479.
- إن أول استعمال للمحاريب المجوفة المزخرفة كان على عهد عمر بن عبد العزيز سنة 91هـ عند تجديد عمارة المسجد النبوي أيام ولايته على المدينة المنورة. انظر: وزيري، يحي: تأثير المنهج الإسلامي على عمارة المساجد، الرياض، من سجل ندوة عمارة المساجد (المجلد العاشر)، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، 1999، ص 9-18. وانظر عن زخارف المحاريب، ص 11.
58. الشهابي، المرجع السابق، ص 13. عبد الجواد، المرجع السابق، ص 479.
59. ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن والمناطق التاريخية 1987.
- Charter for the conservation of Historic Towns and Urban Areas.
- انظر ترجمة عليان، المرجع السابق، ص 236 - 239.

60. الدولتي، عبد العزيز: لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية، المدينة المنورة، من أبحاث «ندوة المدينة العربية، خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي»، المعهد العربي لإنماء المدن، 1981، ص 51 .
61. ميثاق مؤتمر نارا المنعقد في اليابان - نوفمبر 1994.
- Nara Conference on Authenticity in Relation in to the world Heritage convention, Nara, Japan, from 1 – 6 November 1994.
62. انظر الموقع بالإنترنت: المعهد الأمريكي للحفاظ American Institute for conservation .
63. عليان، المرجع السابق، ص 80.
64. الحديدي، عدنان: تاريخ الأردن وفلسطين، عمان، 1996، ص 87.
65. الحفاظ على معالم الكنيسة المعمارية وما تم من إضافة جديدة جرت على يد المعماري العثماني سنان بعد فتح القسطنطينية (استنبول) عام 1453 م وبتحويل الكنيسة إلى مسجد سمي مسجد الحجة صفية.
66. G. Carbonara, Trattato di restauro architettonico, 22 – 24.
67. عرف المجتمع الإسلامي الإرشيف منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - لتوثيق سجلات بيت المال وعطايا الجند، و عرف توثيق الوقف الإسلامي والحفاظ على التراث الإسلامي الديني منذ العصر الأموي والعباسي، كما أنشأت الدولة العثمانية إرشيف لتوثيق الأراضي والملكية عرف بالسجل. وفي الألفية الثالثة من عصرنا هذا تواصل الجهد العربي لتطوير الإرشيفات العربية وحمايتها من النهب المنظم والتدمير الممنهج، آخرها في نوفمبر 2007 بانعقاد مؤتمر (وثائق العرب في الإرشيفات الأجنبية) في القاهرة، ومن توصياته تشكيل لجنة للتفاوض بشأن الإرشيفات العربية المسلوقة في دور الإرشيفات الأجنبية تمهيدا لاستعادتها، والعمل على تقديم كل الدعم للحفاظ على التراث الثقافى والحضاري العربي والإسلامي، وترجمة الفهارس والكتالوجات الخاصة بوثائق العرب، كما تبنى المؤتمر قرارا بتأسيس اتحاد عام للإرشيفين العرب.
68. عليان، المرجع السابق، ص 65.
69. عليان، المرجع السابق، ص 122 - 124.
70. International charter for the conservation and Restoration of monuments and sites.
- الميثاق العالمي للحفاظ والترميم للمعالم والمواقع.
- انظر ترجمة عرفان سعيد، مجلة التراث والحضارة، بغداد، العدد 4، 1982، ص 9-10. أو ترجمة جمال عليان، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 322، ص 232 - 233 ويسمى الميثاق بميثاق البندقية لعام 1964 the charter of Venice
71. لميثاق العالمي للحفاظ والترميم للمعالم والمواقع، المرجع السابق، ترجمة عليان، المادة 3.
72. عليان، المرجع السابق، ص 130.
73. عليان، المرجع السابق، ص 133.

74. Brernard Feilden, J. Jokilehto, Management Guidelines for world 243.
75. الميثاق العالمي للحفاظ والترميم للمعالم والمواقع، المرجع السابق، ترجمة عليان، المواد 9-11.
76. E. Cevat, Op.Cit. 131 .
77. صاحب نظرية الترميم الطرازي المعماري الأثري الفرنسي أوجين أمانويل فيوله لودوك Eugene Emmanuel Viollet le-Duk 1814 – 1879 أشهر مؤلفاته «قاموس العمارة الفرنسية من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر» نشر عام 1868، ترجم إلى الإنجليزية عام 1875، وقد شهدت إيطاليا وإنجلترا أعمال هدم وبناء للمباني التاريخية بتأثير مفهوم الترميم الطرازي.
78. الوائلي، فيصل: صيانة الابنية التراثية في العراق، بغداد، مديرية الآثار العامة، 1965 ص 5-6.
79. طالب رافيللو من البابا ليو العاشر في حوالي عام 1512 بحفظ المعالم المعمارية الكلاسيكية الرومانية في إيطاليا، واستجاب البابا لطلبه هذا، وفي عام 1515 تولى رافيللو بأمر البابا منصب مراقبا للآثار.
80. عليان، المرجع السابق، ص 202.
81. عليان، المرجع السابق، ص 67-68.
82. التحليل المختبري الفيزيائي لخصائص المواد الإنشائية للمبنى الأثري، أي معرفة خصائصه الفيزيائية كالوزن والحجم والعزل للماء، المسامية وحجم المسامة وقطر المسامة وعوامل التمدد وما شابه.
83. G, Carbonare, Restaurare, recuperare, conservare, cosolidare «Restoration, rehabilitation, conservation and consolidation», 17.
84. Bernard Feilden, conservation of historic Buildings, 8.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، ج 2، بيروت، دار الفكر، 1978م.
- ابن جبیر، أبو الحسن محمد بن جبیر الكناني الأندلسي (ت 614هـ): رحلة ابن الجبیر، القاهرة، مطبعة السعادة، ط.1، 1326هـ.
- الأشعب، خالص: مراتب المدن في اليمن، بغداد، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد 12، 1407هـ / 1983.
- الباشا، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1990.
- الحديدي، عدنان: تاريخ الأردن وفلسطين، عمان، الأردن 1996.
- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت. 626هـ): معجم البلدان، ج4، بيروت، دار صادر، 1977.

- الدولتي، عبد العزيز: لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية، من أبحاث «ندوة المدينة العربية، خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي»، المدينة المنورة، المعهد العربي لإنماء المدن، 1981.
- سامح، كمال الدين: العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1964.
- السمهودي، نور الدين علي بن احمد (ت 911هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج 2، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، 1971.
- الشهابي، قتيبه: زخارف العمارة الإسلامية، دمشق، مطابع وزارة الثقافة، 1996.
- شافعي، فريد: العمارة العربية، القاهرة، المجلد الأول، 1970.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، القاهرة، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
- المقرزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرزية)، ج 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، د.ت.
- ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت 711هـ): لسان العرب، مادة مدن، ج 6، مصر، دار المعارف، د.ت. وطبعة بيروت 1968م.
- الوائلي، فيصل: صيانة الأبنية التراثية في العراق، بغداد، مديرية الآثار العامة، 1965.
- بالباس، ليوبولدو تورس: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: إليودورودي لابنيا، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1423هـ / 2003.
- بريكنز، اس مارتن: الهندسة المعمارية، في كتاب: تراث الإسلام، تأليف مجموعة من المستشرقين، تعريب: جرجيس فتح الله، بيروت، ط 3، 1978.
- بولاديان، فيليب: الحفاظ على التراث المعماري في المدينة العربية التقليدية، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد، 1991.
- جار الله، عبد الرحمن حسن: المسجد من المدرسة الإسلامية - الفروق الإنشائية «رؤية جديدة»، صنعاء، مجلة الإكليل، العدد 28، 2004.
- حسين، محمد ابراهيم: العمارة الإسلامية شاهد على العصر، جده، مجلة المنهل، العدد 454، السنة 53، المجلد 48، رمضان وشوال 1407هـ / مايو 1987.
- رموضه، سالم: الحفاظ على إرث العمارة الطينية «وادي حضرموت دراسة حالة»، اليمن، بحث منشور، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، د.ت.
- عبد الجواد، توفيق أحمد: العمارة الإسلامية (فكر وحضارة)، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د.ت.
- عبد المنعم، بغداد: أنسنة العمارة، الكويت، مجلة الكويت، العدد 283، مايو 2007.
- عبود، عبد الغني: الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 1، 1981.
- عكاشه، ثروت: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، 1981.

- عليان، جمال: الحفاظ على التراث الثقافي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 322، 2005 .
- غالب، عبدالرحيم : موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، جروس برس، 1988.
- فتحي، حسن: العمارة العربية الحضرية في الشرق الأوسط، بيروت 1972.
- ماجد، عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.4، 1978.
- وزيري، يحي: القبة في العمارة الإسلامية بين اصالة التصميم والتطوير الواعي، القاهرة، مجلة عالم البناء، العدد 72، 1986.
- وزيري، يحي: تأثير المنهج الإسلامي على عمارة المساجد، الرياض، من سجل ندوة عمارة المساجد (المجلد العاشر)، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، 1999.

المراجع الأجنبية :

- Carbonare, G.: Restaurare, recuperare, conservare e cosolidare «Restoration, rehabilitation, conservation and consolidation». In Arkos number 12000/, UTET Periodici, Torino 2000.
- Carbonara, G., Trattato di restauro architettonico. Utet, Torino 1996.
- Cevat, E.: Our architectural heritage from consciousness to conservation. unesco press. Paris. 1986.
- Feilden, Bernard. Jokilehto, J.: Management Guidelines for world Cultural Resources. ICCROM, UNESCO and ACOMOS Second edition. Rome, 1998.
- Feilden, Bernard: conservation of historic Buildings, butter worth, London 1982.
- Mumford, Louis: The City in History, New York 1961.
- Oxford University Press, Oxford Wordpower, First published 1999.